

حكايات جدتي
القط ملكا على الغابة

بقلم
جلاء شوقي



القط ملكا على الغابة

عاش القط مشمش في بيت النجار ، وكان أيام شبابه ماهرا في صيد الفئران ، حين كان نشيطا خفيف الحركة ، يبحث عنها ويطاردها في كل مكان . أما الآن فقد ولت أيام الشباب ، وأصبح قتا كسولا ثقيلا الحركة إما لكبر سنه أو لمرضه الذي أصابه أخيرا . ولم تعد للقط مشمش أية فائدة سواء في داخل البيت أو في عشة الدجاج والبط والوز ، فقد كف من مدة عن مطاردة الفئران ، وأصبح يبحث عن طعام له أسهل وأشهى ، فيخطفه من مطبخ البيت في غفلة من زوجة النجار ، لا سيما بعد أن امتنع أصحاب البيت عن تقديم الطعام له . فلم يعد ما في البيت من زبدة وقشدة ، ولبن وجبن ، ولحمة وخبز ، تسلم من عدوانه .

وراحت زوجة النجار تطارده وتشكوه إلى زوجها ،
وتقول له فى غضب : لماذا نحتفظ بهذا القط عندنا ، بعد
أن صار لا فائدة فيه ؟ فلم يعد طوال السنة الماضية يمسك
بذيل فأر واحد ، حتى إن الفئران صارت تسخر منا ومن
قطنا الكسول الذى لا يسبب لها أى إزعاج ، ويكتفى
طوال الوقت بإزعاجنا نحن أصحابه ، فلا نستطيع أن نحتفظ
بأى شىء بعيدا عن عدوانه ، هذا وقد تكاثرت الفئران
وراحت تفرح فى البيت بحرية ، فماذا أنت فاعل يا زوجى
العزير ؟ هل تتركه هكذا يفعل بنا ما يشاء ؟

أخيرا ، اتفق الرجل وزوجته على أن يأخذ القط معه
عندما يذهب إلى الغابة لإحضار بعض الأخشاب ، ويطلق
سراحه هناك .

وفى صباح اليوم التالى ، وضع الرجل القط العجوز
مشمش فى كيس ، وحمله معه إلى الغابة . فلما انتهى من
قطع ما يكفيه من الأخشاب ، أخرج القط المسكين من

الكيس ، ورماء فى بقعة منخفضة من الغابة حيث تتجمع مياه الأمطار ، ثم انصرف على عجل وهو يدفع عربته الصغيرة المحملة بالأخشاب أمامه . فراح القط العجوز يفكر فى حزن شديد ، ويقول فى نفسه : لو أننى كنت كلبا لجررت له العربّة — مع كرهى لذلك — ولما تركنى هكذا للأقدار لا حول لى ولا قوة ، ولكن طبعى لا تسمح لى أن أفعل ما يستطيع أن يفعله أىّ كلب .

وراح القط يتلفت حوله يمينا ويسارا ، ثم قال فى يأس : الظاهر أنى سأبقى هنا حتى أهلك من الجوع . ولكن القط سمع فجأة صوتا يناديه . فالتفت إلى الناحية التى يأتى منها الصوت ، فوجد ثعلبة تنظر إليه متعجبة ، كوافد جديد إلى الغابة لم تر له شبيها من قبل ، ثم سمعها وهى تخاطبه تقول :

— يوم جميل أيها الحيوان الطيب !

أجابها وهو يدير وجهه عنها ، وقد تملكه الغضب من
صاحبه النجار الذى تركه ومضى ، بعد كل ما عمله له
طوال عشرته الطويلة معه :

- يوم جميل .. إن أردت ذلك .

قالت الثعلبة : من أنت وما اسمك ؟ وما الذى جاء بك
إلى هنا ، وماذا تريد ؟

قال : أنا القط مشمش ...

وراح يحكى لها حكايته كلها .

أطرقت الثعلبة برأسها ، ثم قالت فى نفسها :

- مهلا .. مهلا ! ألا تستطيعين أيتها الثعلبة أن تجعلى من

هذه الفرصة التى سنحت لك ، ميزة تستفيدين منها ؟

فالقط مشمش حيوان جديد بالنسبة لحيوانات الغابة ، لم تر

مثله من قبل ، ولم تسمع عنه شيئا . فىمكن أن أستعمله

كوسيلة لتخويفها منه .

قالت الثعلبة بعد أن أعجبتها الفكرة :



— استمع إلى جيداً أيها القط مشمش .. أنت الآن
صديقي وأنا آسفة لكل ما حدث لك ، وسوف أساعدك ..
تعال عش معي ولا تتوقع أن تجد عندي الكثير الذي تطلبه ،
ولكن مرحبا بك في حدود القليل الذي أملكه .
قال القط مشمش :

— شكرا لك لعطفك الكريم عليّ ، وأنا أقبل
دعوتك لي .

قالت الثعلبة : هيا بنا إذن !
وأخذته إلى جحرها وراحت تحفر بمخالبها لتوسع
جحرها فجعلته على هيئة قمع ، حتى يبدو الجحر مخيفا ،
ثم طلبت من القط أن يرقد داخل الجحر ويستريح . ثم
انطلقت تنادي حيوانات الغابة ، وقالت لها : إني أحمل لكم
رسالة هامة .

فتجمعت حيوانات الغابة كبيرها وصغيرها ، لتسمع
الرسالة التي جاءت بها الثعلبة .

قالت الثعلبية : هل سمعتم أيها الأصدقاء عن الحدث المثير
الذى حدث فى غابتنا ؟ فقد جاء إلينا حاكم جديد أكثر
شراسة وعنفًا من كل حاكم عرفناه من قبل . إنه القط
مشمش ، وإن له وجهًا ذا شوارب طويلة ، ولسانًا حادًا
كأنه الإبرة ، وعينين مضيئتين ملتهبتين ، ومخالب كأسنان
المشط ، وذيلًا طويلًا كذيل الأفعى ، وعندما ينام يغط فى
نومه كحيوان كسلان .. أما فى يقظته فلم أسمع منه إلا
كلمة واحدة لا يزال يرددها هى كلمة أكثر .. أكثر ..
أكثر ، مهما يكن نوع الهدايا التى تقدم له . وقد طردنى
من منزلى الذى أسكنه أيها الأصدقاء بعد أن أعجبه ،
ولكننى لن أحزن لذلك ولن أشكو . وكل ما أفعل هو أن
أخذ أمتعتى وأشياءى وأذهب إلى جذع شجرة أو إلى أى
جحر . ولن يتركنى بعد لحالى ، فقد أمرنى أن أتولى أمر
غذائه ، وهذا ما لا أستطيع أن أقوم به وحدى ، فكل
مخزونى من الغذاء التهمه الحاكم فى يومه الأول ، ولم يعد

عندى شىء أقدمه له الآن ، ولذلك أمرنى أن أدعوكم جميعا لاجتماع ، لأطلعكم على مطالب الحاكم الجديد .. وقد أصدر أوامره أن يتولى الاجتماع الترتيبات اللازمة لتوفير ما يحتاج إليه كل يوم ، من اللحم واللبن بكميات كافية .

هذا ما كلفت أن أبلغكم إياه ، وأنتم الآن تعرفون ما هو مطلوب منكم . ولكن احذروا أن يغضب الحاكم الجديد منا ، وإلا فالويل لنا جميعا .

ساد الاجتماع حالة من الجلبة والهباج ، وراح الدب ينشب مخالبه فى جسمه من فرط الغضب ، وتحركت كل الحيوانات متجهة إلى بيوتها ، وكل منها يذكر نفسه بما يجب عليه أن يحمله إلى جحر الثعلبة ، فى الوقت المحدد لذلك . وفى صباح اليوم التالى ذهبت الحيوانات كلها إلى جحر الثعلبة ، ووضعت ما كانت تحمله من هدايا ، وقد استولى عليها الخوف والرغبة .



فأحضر الذئب نصف خروف ، وأحضر الدب العسل
الذى سطا عليه من بيت النحل ، وأحضر ابن عرس بطة
جاهزة معدة للطهى بعد أن تنف ريشها ، وأحضرت
زوجته بعض البيض ، وكذلك أحضر السنجاب بعض
الثمار .

وهكذا أحضر كل حيوان ما استطاع ، ووقفت
الحيوانات كلها فى صف واحد لا يجرو واحدا منها على
الاقتراب من الجحر .

ونظرت الثعلبة من ثقب جحرها ، ثم أخرجت رأسها
وهمست :

— ما يزال حاكمنا نائما ، ولا أجرو على إيقاظه .
فلننتظر حتى يستيقظ .

خرج الدب فجأة من بين صفوف الحيوانات وقال :

— اسمعى أيتها الأخت ..

فقاطعت الثعلبة وقالت :

— لا أيها الدب .. اسمح لى أن أقول لك إنى لست
أختك الآن ، بل أنا زوجة الحاكم ، فقد جاءنا القط
مشمش وهو أعزب ، بينما بقيت أنا كما تعلمون جميعا
أرملة مسكينة لسنوات طويلة .

وأخيرا تفضل على القط مشمش وطلب منى أن
أتزوجه . ولذلك أطلب منكم جميعا أن تخاطبوني من اليوم
فصاعدا بوصفى زوجة الحاكم .

تبادلت الحيوانات نظرات الدهشة فيما بينها ، ثم هزت
أكتافها ولم تنبس بكلمة .

وبعد قليل خرجت الثعلبة من جحرها ، واستدعت أكبر
الحيوانات سنا لتتقدم واحدا بعد واحد لتعرب عن
احترامها وولائها للحاكم . ولكن الحيوانات خافت ولم
يتحرك أى حيوان من مكانه ، واكتفى كل منها بالنظر إلى
صاحبه وقال :

— اذهب أنت أولا .. هيا تقدم .

وأخيراً تم الاتفاق فيما بينها أن يتقدم الخنزير . واقترب الخنزير قليلاً من الجحر وحاول أن يهذب من صوته المنكر المزعج ، فصاحت زوجة الحاكم فى وجهه وجذبتة بعيداً وقالت له :

— إن سلوكك هذا غير مهذب ، وبعيد عن اللياقة .
وطلبت الحيوانات من الدب أن يتقدم .
وراح الدب يخطو نحو الجحر ، ولكنه تجمد فى مكانه عندما رأى من فتحة الجحر المظلم ، عينين ناريتين تبرقان وتضيئان وجهها مستديراً مربعاً ذا شوارب طويلة ، فهمهم الدب بكلام مبهم ، ومن ثم تراجع وفرائصه ترتعد .
فصاحت الثعلبة :

— أفسحوا الطريق ، فسيخرج الحاكم إلينا الآن .
قالت ذلك فقفزت الحيوانات مبتعدة ، واختبأ بعضها فى داخل الأشجار القريبة ، وبعضها الآخر خلف جذوع الأشجار .

وخرج القط مشمش يمشى بخطوات بطيئة متمهلة ،
بينما همست الثعلبة فى أذنه بأن يرفع ذيله إلى أعلى بقدر
ما يستطيع .

واتجه القط مشمش إلى المائدة التى أعدت له ، وراح
يتناول الطعام ، ويدمدم بحكم العادة :
— أكثر .. أكثر .. أكثر .

وراح فى نفس الوقت ينظر شذرا إلى الدب الواقف
خلف إحدى الأشجار ، يرقب القط ويعجب فى نفسه من
هذا الحاكم الغريب الذى لن يصمد أمامه دقيقة واحدة لو
هجم عليه .

هذا وبينما كان القط مشمش منهمكا فى تناول الطعام ،
راحت الحيوانات تتسلل مبتعدة عن المكان وقد أصابها
الذعر ، وفى دقائق قليلة فرت بخطوات سريعة لاهثة ،
دون أن تلقى خلفها نظرة واحدة إلى الغابة ، حيث كانت

الثعلبة وزوجها مشمش يتجولان هنا وهناك ، وحيث عاشا
فى هناية وسعادة ، يصيدان ما حلا لهما الصيد .
وهكذا استطاعت الثعلبة بمكرها ودهانها أن تحوّل
هذا القط عديم الفائدة ، الذى نبذه صاحبه ، إلى مصدر
رعب دائم لكل حيوانات الغابة ، حتى إنها فرت جميعها
خوفا منه .